تداوليَّة الحوار الدّرامي في مسلسل "صقر قريش": دراسة في أفعال الكلام

د. هناء كامل على إبراهيم
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الألسن – جامعة عين شمس

الملخص:

هذه دراسة بعنوان: تداولية الحوار الدرامي في مسلسل "صقر قريش"، دراسة في أفعال الكلام. وهي دراسة تنبع أهميتها من كونها تقوم بمعالجة حوارات عمل درامي تاريخي عن طريق تطبيق المنهج التداولي.

فاللغة تؤدّي وظائف متعدّدة؛ لعلّ من أهمّها أنها وسيلة للتواصل، الذي يتمّ وفقا لعناصر أساسيّة هي: المتكلم والمستمع والمقام، والقناة التي يتمّ عن طريقها، سواء أكانت سمعيّة؛ يتلقي المستمع فيها الفعل المنطوق عن طريق الأذن، أو بصرية يُتلقى فيها الفعل المكتوب أو الحركات الجسميّة عن طريق البصر.

إن أفضل تمثيل لوظيفة التواصل واستعمال اللغة في مقامات مختلفة نراه في الدّراما؛ التي تجسّده حيًا من خلال قيامها على الحوار باعتباره مكوّنًا أساسيًا لها.

ويقوم هذا البحث بمحاولة استجلاء تلك الوظيفة للغة متمثلة في معالجة النظرية التداوليّة التي تُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، عن طريق جوانب متعدّدة من بينها: أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراض المُسبَق .... إلخ؛ حيث تستجلي هذه الجوانب المختلفة في الحوارات التي ترد في بعض حلقات المسلسل التاريخي "صقر قريش"؛ الذي يجسّد فترة تاريخيّة تبدأ أحداثها قُبيل أفول الدّولة الأمويّة في الشّام ثمّ قيام دولة بني العبّاس فيها بعد القضاء على بني أميّة، وتستمرّ حتّى قيامها في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بـ "صقر قريش" بعد فراره من ملاحقة العبّاسيّين له؛ فهو يتتبّع رحلته من الشام إلى مصر ثمّ عبوره صحراء إفريقيا ووصوله إلى الأندلس.

وقد قامت الدراسة على الحوارات الواردة في خمس حلقات متتالية؛ تلك الحلقات التي تناولت الفترة التاريخية التي تبدأ مع هروب عبد الرّحمن بن معاوية وخادميْه من دمشق حتى وصوله إلى المغرب.

وينقسم البحث إلى جزءيْن؛ يقدّم الجزء الأوَّل نبذة تمهيديّة عن التداولية ونظرية أفعال الكلام. ويتناول الجزء الثاني الدّراسة التطبيقيّة؛ وعنوانها:(القوّة الإنجازيّة لأفعال الكلام في مسلسل "صقر قريش"). وتُختم الدّراسة بخاتمة تجمل أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدّراسة، وقائمة بأهمّ المراجع التي اعتمدت عليها.

الكلمات المفتاحية

التداولية، أفعال الكلام، صقر قريش، القوة الإنجازية، الحوارات

تداوليَّة الحوار الدّرامي في مسلسل "صقر قريش" دراسة في أفعال الكلام

- التداوليّة: مُقدِّمة نظريَّة:

لقد كان عام ١٩٣٨ بمثابة الميلاد الأول لمصطلح "التداوليّة"، على يد الفيلسوف تشارل موريس Charles Moris[١] الذي وزع دراسته للرموز اللغوية حسب المخطط التالي:

- الجانب النحوي Syntax: ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بعضها ببعض.
- الجانب الدلالي Semantics: ويعنى بالرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدلّ عليها.
- الجانب البراجماتي Pragmatics: ويعنى بعلاقة الرّموز اللغوية بالمتلقي، وبالظواهر النفسيّة والحياتيّة والاجتماعية والمرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها[٢].

وتعنى الدّراسة بالجانب الثالث؛ وهو: البراجماتية أو التداولية[٣]؛ التي تعدّ مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية التي تطورت إبان سبعينيات القرن العشرين، وهي كما وصفها فرانسواز أرمينكو تمثل درسًا غزيرًا جديدًا؛ إلا أنه لا يمتلك حدودًا واضحة.. فهي تقع في مفترق طرق الأبحاث اللسانية والفلسفية والتواصلية عامة[٤]، ممّا يُثريها ويجعلها محلّ تلاقي مباحث لسانيّة متعدّدة. فالتداولية لا تنتمي إلى أيٍّ من مستويات الدّرس اللغوي صوتيًا كان أم صرفيًا أم نحويًا أم دلاليًا .. وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات؛ لأن كلا منها يختصّ بجانب محدّد ومتماسك من جوانب اللغة، وله أنماطه التجريديّة، ووحداته التحليلية، وكذلك التداوليّة؛ لا تقتصر على دراسة جانب محدّد من

جوانب اللغة؛ بل من الممكن أن تستوعبها جميعًا، وليس لها أنماط تجريديّة ولا وحدات تحليل[٥].

ونظرًا لعدم وضوح حدودها؛ فقدّ تعدّدت تعريفاتها؛ ولعلّ من أوجز تلك التعريفات وأكثرها وضوحًا وشمولا هو أنها: الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والبشرية"[٦]؛ أي دراسة اللغة في الاستعمال in use، أو في التواصل Interaction؛ لأن هذا التعريف يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السّامع وحده؛ وإنّما في تداول هذه العناصر معًا في سياق محدّد (مادّي واجتماعي ولغوي)؛ وصولا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما[٧].

فالتداولية لا تتوقف عند البنية اللغوية؛ لكنها تتجاوزها إلى ربطها بالمتكلم والمستمع والمقام الواردة فيه، ومدى نجاح تلك العملية لتحقيق مقاصد مختلفة.

وتقوم التداولية على مفاهيم ثلاثة يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها متضمنة في القراءة التداولية لكل الخطابات وهي[٨]:

أ- مفهوم الفعل: يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفاظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، هذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام. وقد قسّم جون أوستن John Austin الأفعال إلى إنجازية actes performatifs وتقريرية أو واصفة actes constatifes؛ بحيث يقترن في الأولى الإنجاز

بالتلفظ نحو: بعت، اعتقدت.. فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ نحو اقتربت الساعة، إلى جانب ذلك فقد قسم جون سيرل John Searle الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف (التأكيدات، الأوامر، الالتزامات، التصريحات، الإدلاءات) وهو تقسيم يصب في المفهوم التداولي للفعل أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق.

ب- مفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه إلى فهم وتقييم ما يُقال.

ج- مفهوم الكفاءة: ويعتبر مفهوم الكفاءة إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق، أو حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، وبناء على ذلك تتحدّد كفاءة المتكلمين وميزاتهم.

والمثال التالي يوضح المفاهيم السّابقة

- هل تريد فنجانا من القهوة؟
- إنها تحول بيني وبين النوم.

كيف عرف السائل أن محاوره يرفض القهوة؟ وكيف عرف المُجيب أن القهوة تحول بينه وبين النوم؟ وكيف تم الاتفاق والتواطؤ بينهما من جهة وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى على ذلك؟ إنهما يعالجان تلك الملفوظات باستدلالات ومعلومات مستقاة من معارف مستمدة من الواقع الخارجي، وبتواضع من أفراد المجموعات اللغوية المتواطئة على ذلك[٩].

هذه الأسئلة تجيب عنها النظرية التداولية؛ فالإجابة عنها تساوى تعريف التداولية: اللغة في الاستعمال.

-أفعال الكلام:

يعدّ الفعل الكلامي Speech act، واحدًا من أهمّ مجالات الدّراسات التداوليّة؛ إن لم يكن أهمها جميعًا؛ بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميّة؛ لذا فليس بغريب أن يُعدّ أوستين أبا التداولية[١٠].

وفحواه أن كلّ فعل ينهض على نظام شكلي ودلالي، كما يعدّ نشاطا ماديًا ونحويًا يستهدف تحقيق أقوال كلاميّة locutionary وأهداف تكلميّة illocutionary إنشائيّة كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... وأهداف تكليميّة perlocutionary غائيّة تخصّ ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول[١١].

وانطلاقا من تساؤل أوستين:"كم معنى هناك على أساسه يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء، أو يكون متضمنا في قولنا شيئًا، فعلنا لشيء معين"[١٢]، ميز أوستين بين ثلاثة أنواع من الفعل ترتبط بالقول[١٣]:

(١) الفعل اللفظي Locutionary act:

أو فعل القول؛ ويتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدّد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

(٢) الفعل الإنجازي Illocutionary act:

أو الفعل المتضمّن في القول، وهو ما يؤدّيه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

(٣) الفعل التأثيري Perlocutionary act:

أو الفعل الناتج عن القول؛ ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

ويُعدّ "الفعل الإنجازي" هو الشاغل الأهمّ في تداولية أفعال الكلام منذ تأسيسها حتى الآن. فعندما رغب جون سيرل ـ خليفة أوستين وأحد روّاد هذه النظرية البارزين ـ في تعريف الفعل الكلامي، أشار إلى أن بحثه (ما الفعل الكلامي؟ What is speech Act?) ينبغي له أن يُسمّى (ما الفعل الإنجازي؟)[١٤].

ومن شروط إنجازيّة الأفعال اقتضاؤها لشروط ذهنيّة سابقة، ولا سيّما القصدية؛ "لأن أحوال حصول الأفعال المنجزة عن قصد هي ما يمكن أن توصف بكونها أفعالا إنجازيّة"[١٥].

يقود الحديث عن الفعل الإنجازي إلى التعرّف على مفهوم "القوّة الإنجازيّة"؛ ويعرّفها د. محمّد العبد بأنها: "الشّدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه"[١٦]. وبالتالي فالقوة الإنجازية ليست معيارًا ثابتًا؛ وإنما هي متغيّرة باختلاف السياق وبحسب مقصد المتكلم.

ويرتبط مقصد المتكلم بالسياق؛ فمثلا ينبغي للمتكلم أن يكون في موقع السلطة حتى يصبح منطوقه طلبًا حقيقيًا. يُفهم من ذلك أن دراسة أفعال ينبغي لها أن تكون عملا لغويًا اجتماعيًا؛ وذلك أن هناك دائمًا صلة وثيقة بين الفعل الكلامي ودور المتكلم الاجتماعي. وهذا يدعو إلى القول بأن تفسير كل من الغرض والقوّة الإنجازيتين تفسيرًا صحيحًا، يعتمد على صيغة المنطوق اللغوية، وعلى فهم الشبكة الاجتماعيّة في آن واحد[١٧].

والأفعال الإنجازيّة نوعان: "الأفعال الإنجازية المباشرة" و"الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة". ويرى سيرل أن **الأفعال الإنجازيّة المباشرة** هي التي يكون معناها مطابقًا لما يريده المُرسل مطابقة تامة، والدالة على قصده بنصّ الخطاب؛ وذلك يتبلور في المستوى المعجمي وكذلك المستوى التركيبي؛ أما **الأفعال الإنجازية غير المباشرة** فهي التي ينجزها المرسل دون التصريح بإنجازه، وبهذا يتفق مع أوستين بأن هذه الطريقة طبيعية؛ فالمرسل يستعمل الخطابات التي لا تتضمن الفعل الإنجازي نصًا أكثر من الخطابات التي تتضمنه؛ وذلك عائد إلى تقارب طرفي الخطاب والاكتفاء بتوظيف المعرفة المشتركة بينهما في كثير من السياقات وحقائقها، كما يوظفان هذه المعرفة لإنجاز الأفعال اللغوية المتنوعة[١٨].

وقد ذكر سيرل المثال التالي بيانًا للأفعال الإنجازيّة غير المُباشرة: إذا قال رجل لرفيق له على المائدة: هل تناولني الملح، فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إن قوّته الإنجازيّة الأصليّة تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل الاستفهام "هل"؛ لكن الاستفهام ليس هدف المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدّي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح[١٩]؛ فطبيعة الأفعال الإنجازيّة غير المُباشرة تتلخص في أن ما نقوله لا يستوعب بالضرورة كلّ ما نقصده؛ فنحن نقصد أشياء لا نعبّر عنها بالكلام إلا بجزء يسير[٢٠].

والأفعال الإنجازيّة غير المباشرة عند سيرل لا تدل هيئتها التركيبيّة على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي؛ وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، وقد لفت إلى أن السامع يصل إلى مراد المتكلم بما أسماه استراتيجية الاستنتاج Inference stratigy[٢١].

القوّة الإنـجازيّة لأفعال الكلام في مسلسل" صقر قريش"

تمثل دراما "صقر قريش" عملا تداوليًا تتوزّع الأدوار فيه على أشخاص، تدور بينهم الحوارات في أماكن متجدّدة وأزمنة متتابعة.

يحكي المسلسل سيرة عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك حفيد عاشر الخلفاء الأمويين ومؤسس الدولة الأموية في الأندلس، مبتدئًا بعهد طفولته، وظهور دعوة العباسيين، وتفكك الخلافة الأموية في الشام بعد تولي الوليد بن يزيد الخلافة، مع اشتداد قوة العباسيين، إلى أن سقطت الدولة الأموية، وتحول أمراء بني أمية إلى مطارَدين، وهروب عبد الرحمن الداخل (جمال سليمان) برفقة خادميْه: بدر (محمد مفتاح) وأبي شجاع (حسن عويتي) إلى أخواله من البربر، ومن ثمّ نزوله في الأندلس التي كانت تتبع الدولة الأموية تبعية صورية، وبدء دعوته إلى إقامة الخلافة الأموية في الأندلس[٢٢].

تنحصر الحوارات التي تتناولها الدّراسة في الحلقات التي تعرض رحلة عبد الرّحمن الداخل من الشام حتى وصوله إلى المغرب بصحبة خادميه بدر وأبي شجاع. من خلال دراسة أفعال الكلام في الحوارات التي وردت في هذه الحلقات؛ وتحليل وسائل تعديل القوّة الإنجازية فيها...

وسائل تعديل القوّة الإنـجازيّة

أولا: الوسائل الخارجة عن نطاق اللغة:

وتمثلها تلك الوسائل التي يتحكّم بها الجسد؛ أو ما يُسمّى "لغة الجسد" Body Language؛ ومنها على سبيل المثال: استخدام الحركات والإشارات (من غمز بالعين، وتحريك للأيدي، ورفع للكتف، وتقطيب للوجه وعبوسه، وغير ذلك)، أو أفعال طقوسية غير لفظية، وهذه الوسائل تستخدم أحيانا دون أن يحرك الإنسان لسانه. ويسمّيها جون أوستين "مصاحبات المنطوق Accompaniments of Utterance"[٢٣].

وقد مثلت مُصَاحَبات المنطوق إشارات وأوضاع جسميّة دورًا مهمًا في دراما "صقر قريش"؛ بل إنها تعدّ جزءًا مُكمِلا للعملية التواصلية وعاملا مهمًا لنجاحها؛ ومن بين المُصاحبات التي وردت فيها ما يلي:

١ـ **حركات العينين**: وهي تصدر إمّا منفردة أو مُصاحبة للكلام، ومن بين النماذج التي وردت فيها هذه الحركة منفردة ما يلي:

صورة (١)

● في هذا المشهد [٢٤] الذي يدور بين عبد الرّحمن بن معاوية وبدر وبعض من جنود المسوّدة [٢٥]؛ عندما أوشك المُسوّدة أن يُمسكوا بعبد الرّحمن بن معاوية؛ لولا قدوم خادمه بدر، تظهر حركات عيني عبد الرّحمن بن معاوية (يمين الصورة) متمثلة في التحديق الحادّ معبّرة عن الغضب الشّديد من مُبالغة خادمه بدر في شتمه والحط من شأنه حتى تنطلي الخدعة على الجند؛ فيستبعدوا أنه الأمير عبد الرّحمن بن معاوية.

تمثل هذه الحركات وسيلة لتقوية القوّة الإنجازيّة لفعل مستقلّ دون مصاحبة منطوق داعم له؛ لأن المنطوق في موقف كهذا يمثل علامة تُضعف القوّة الإنجازيّة الخاصّة بموقف الأمير؛ فلو أنّه عبّر عن استيائه بالكلام لانكشف أمره للجند؛ لكن حركات العينيْن غير المُبالغ في إظهارها قامت بإدارة الموقف التداولي حِيال الشتائم التي كانت تنهال على الأمير من خادمه.

ومثلها أيضًا حركة عيني هشام بن معاوية في المشهد الذي كان يسبح فيه خلف أخيه عبد الرّحمن هربًا من المُسوِّدة الواقفين على الجانب المُقابل للنهر؛ حيث كانوا يطلبون منه العودة مُقابل إعطاء الأمان له؛ بينما يستحثه أخوه عبد الرّحمن على مواصلة السّباحة.

تظهر حركة عيني هشام في الصّورة التالية[٢٦]:

صورة (٢)

مثلت هذه الحركة أيضًا فعلا إنجازيًا مستقلا بذاته؛ حيث عبّرت نظرة العينيْن الباهتة عن اليأس الشديد من بلوغ الضفة الأخرى، والنجاة من بني العبّاس، وأظهرت الخضوع والاستسلام لأمانهم، ولم تأبه بكلمات أخيه الدّافعة على التقدّم ومجاهدة التعب طلبًا للنجاة.

● في المشهد الذي يظهر في الخان[٢٧]، يدور حوار بين صاحب الخان وزوجته التي تبدي اعتراضها على كلام زوجها بخصوص تسليم عبد الرّحمن بن معاوية للمُسوِّدة؛ فتذكره بالله وأنه ليس من المروءة تسليم رجل نزل في جواره، فيتظاهر الرّجل أنه قد اقتنع بكلام زوجته، ويستعيذ بالله من وسوسة الشيطان؛ ويظهر ردّ فعل زوجته في الفعل الإنجازي المتمثل في نظرة عينيها كما يلي:

صورة (٣)

تعبّر نظرة عينيها هنا على عدم الثقة في كلام زوجها؛ وأنه ما صرّح باقتناعه بكلامها إلا وهو ينوي فعل عكسه؛ وبالتالي فقد كان ردّ فعلها بعد مغادرة زوجها الإسراع إلى تحذير عبد الرّحمن بن معاوية وخادميه منه، وحثهما على مغادرة المكان بسرعة قبل حلول جُند بني العبّاس.

وقد يُصاحب الفعل الإنجازي المُتمثل في حركة العينيْن فعلا إنجازيًا آخرًا متمثلا في المنطوق الذي يجري على لسان الشخصيات؛ ويرد هذا بكثرة في الحوارات؛ فلا يكاد يخلو مشهد منه، ومن النماذج الدّالة على ذلك:

● هذا المشهد الذي يجمع بين صاحب الخان (الذي نزل فيه عبد الرّحمن وخادماه) وزوجته[٢٨]:

صورة (٤)

صورة (٥)

في هذا المشهد تبدو حركة العينيْن المُحدِّقة بقوّة مُعبِّرة عن الجشع والطمع في نيْل الجائزة التي أعلنها بنو العبّاس لمَنْ يدلّ على الأمير عبد الرّحمن، بعد أن عرف هذا الرّجل أن مَنْ يختبئ عنده في الخان هو الأمير المطلوب.

تظهر هذه الحركة في حوار الرّجل مع زوجته قائلا لها، وهو يتحدّث عن الجائزة: "عشرة آلااف دينااار ... هل تتصوّرين ماذا نفعل بعشرة آلااف دينااار؟! لو مكثت العمر كله في هذه القرية الحقيرة؛ ما جمعت نصف هذا القدر؟!"؛ محاولا إقناعها بتسليم الأمير الأمويّ لبني العبّاس. تعمل هذه الحركة بمصاحبة الكلام على تقوية الفعل الإنجازي المُعبّر عن عظم الجائزة؛ التي تستحقّ ــ من وجهة نظر صاحب الخان ــ التخلي عن المروءة في سبيل نيْلها.

- في المشهد التالي يظهر عمّا الخليفة العبّاسي أبو العبّاس[٢٩]:

صورة (٦)

تمثل حدّة نظرة العين فعلا إنجازيًا مُصاحبًا للفعل الإنجازي المتمثل في قول أحدهما:"أريد رأس ابن معاوية"؛ وهذه النظرة بمثابة تقوية للفعل الكلامي الذي يعبّر عن شدّة غضبه من قدرة عبد الرّحمن بن معاوية من الفرار، وفشل جُنده في الإمساك به.

٢- حركة اليدين: وقد صدرت في معظم المشاهد؛ ومن النماذج الدّالة عليها المشهد التالي الوارد في الحلقة الثانية عشرة:

صورة (٧)

صورة (٨)

تظهر حركة يدي بدر هنا بوصفها فعلا إنجازيًا مُصاحبًا للفعل الكلامي الذي يحمل نغمة السّخرية الحادّة من شأن عبد الرّحمن بن معاوية؛ حتى لا يعرفه جُند المُسوّدة الذين أحاطوا به، وكادوا يُمسكون به لولا تدخّل خادمه بدر وقيامه بتمثيل أنه هو السيّد وعبد الرّحمن هو خادمه. وقد بالغ بدر في حركات يديه التي تعبّر على الحط من شأن الأمير حتى انطلت على الجُنود حيلته، وأنقذ الأمير.

ثانيًا: الوسائل اللغويَّة:

١- وسائل التشكيل الصّوتي:

وهي الوسائل الفونولوجيَّة التي تظهر في الفعل المنطوق؛ مثل: نوع النغمة، والنبر، وجهارة الصُّوت، وغيرها من الوسائل التي تظهر في الفعل الإنجازي المنطوق(٣٠).

ولأن هذه الوسائل تمثل ميزة أساسيّة تُعرف بها اللغة المنطوقة؛ فمواضعها في مادّة الدّراسة من حوارات دراميّة كثيرة جدًا؛ نعرض من بينها النّماذج التالية:

- قول عبد الرّحمن بن معاوية بعد قتل جُند المُسوِّدة أخاه أمام عينيه:"أعنِّي يا ربّ، أعنِّي يا ربّ بظهر قويّ، **واربط على قلبي** حتى يبلغ الكتاب أجله"(٣١).

وسيلة التشكيل الصّوتي تظهر هنا في نغمة الصّوت في نطق الجملة "واربط على قلبي"؛ وهي جملة طلبية دعائيّة، نطقها عبد الرّحمن بنغمة يرتفع مستواها عن مستوى نغمة

الكلام السّابق عليها؛ وقد عملت على تقوية الفعل الكلامي بأن عكست قوّة الألم الذي لحقه في هذا الموقف؛ وتسمّى هذه الوسيلة بـ"النغمات التقابليّة Contrastive Pitches (وهي النغمات الأدنى أو الأعلى من نغمة المتكلم العادية)"(٣٢).

● في المشهد الذي يتظاهر فيه بدر بأنه السيّد وعبد الرّحمن خادمه، يقول مُخاطبًا رئيس جُند المُسوِّدة متحدثًا عن الأمير عبد الرّحمن:"العفو يا سيدي؛ ولكني شديد الغضب من هذا العبد ... والآن، إن كان هذا العبد قد غرم شيئًا، فأنا ضنينه؛ **إلا** ... إلا أن يكون قد قتل أو هتك عرضًا ... **فخذووووه** ... **خذووووه**... لا رده الله"(٣٣).

تظهر النغمة التقابليّة هنا في الفعل "خذووووه ... خذووووه ..."؛ حيث ينطقه بنغمة مرتفعة تختلف عن نغمة المنطوق كله؛ وهي تقوّي الفعل الكلامي عن طريق المُبالَغة في إدّعاء بدر أنه السّيد وعبد الرّحمن بن معاوية خادمه.

● في المشهد الذي يظهر فيه جُند المُسوِّدة في القدس، يقول رئيسهم مُخاطبًا الرّجل المقدسي (الذي كان الأمير عبد الرّحمن مختبئًا عنده) ومَنْ معه من الناس:"أمّا مَنْ يعرف خبره ويخفيه عنا؛ فليس له عندنا إلا الموت ونحرق داره، وأمّا مَنْ دلنا عليه؛ فقد استحق الجائزة؛ **عشرة آلاف دينار ... عشرة آلاف دينار ...** هل تسمعون قولي؟! **أو الموت**"(٣٤).

تظهر النغمة التقابليّة هنا في منطوقيْن؛ ففي الأوّل في قوله:"عشرة آلاف دينار ... عشرة آلاف دينار"؛ حيث ينطقها بنغمة مرتفعة عن نغمة الكلام السّابق لها؛ وهو بذلك يعمل على إظهار هذا الفعل الكلامي لإغرائهم بعِظم الجائزة؛ وبالتالي فهذه النغمة تعمل على تقوية الفعل الكلامي؛ على العكس من النغمة المنخفضة في المنطوق الثاني في قوله:"أو الموت" التي تحمل مغزى على النقيض من مغزى المنطوق السّابق؛ حيث يخوّفهم إن تستّروا على الأمير عبد الرّحمن.

● في المشهد الذي يظهر فيه عبد الرّحمن بن معاوية وبدر؛ يعبّر بدر عن قلقه الشديد من الرّمد الذي لحق عينيه ويقول له: يجب أن نفعل شيئًا! فيردّ عليه عبد الرّحمن ــ وهو يضحك ضحكة قصيرة ساخرة ــ قائلا: "**ادعُ طبيب القصر**"(٣٥).

مثلت هذه النغمة المنخفضة السّاخرة وسيلة من وسائل التشكيل الصّوتي؛ حيث إنهم مطارَدون، وليس ثمَّة ملاذ آمن لهم، فأنّى لهم بطبيب القصر!؟، كما أنها تظهر حسرته على ما مضى وما آل إليه بعد سكنى القصور إلى التشرّد في القفار والصحاري. فهو معنى تأثيري يُضادّ الحقيقة، وهو هنا يعبّر عن مقصده على سبيل المفارقة.

● في المشهد الذي يظهر فيه الثلاثة (عبد الرّحمن وخادماه) في الخان الذي نزلوا فيه للاختباء من جُند المُسوِّدة: يقول بدر مُخاطبًا صاحب الخان:

"عشرون درهمًا على الواحد في الليلة الواحدة في هذه الغرفة الحقيرة، **لا بأس به مغنمًا في هذه الدُّنيا**"(٣٦).

يقول هذا المنطوق بنغمة مُرتفعة عن نغمة الكلام السّابق لها؛ ساخرًا من صاحب الخان الذي بينما يتحدّث عن الزّهد في الدّنيا؛ يرفع سعر الغرفة. فالمنطوق خالف معناه الحرفي عن طريق تغيير النغمة برفعها وبالتالي تقوية المنطوق.

- وفي المشهد السابق نفسه:

"- **صاحب الخان**: الدّفع مُقدَّمًا يا سيّدي.

- **بدر**: لِمَ؟ هل تخشى أن نغافلك، فنغادر قبل أن ندفع؟!.

- **صاحب الخان**: المعذرة يا سيّدي، فأنا لا أعرفكم. وقد غافلني بعضهم، فحلفت بالله يمينًا مغلظا لا ينزل أحد عندي قبل أن يدفع، فأعنّي على برّ يميني يا سيّدي.

- **بدر**: **نعم، حتى لا تخسر الدّار الآخرة"**[٣٧].

دلّ منطوق بدر الأخير "نعم، حتى لا تخسر الدّار الآخرة" على عكس معناه الحقيقي عن طريق استخدام نغمة ساخرة هابط مستواها عن مستوى كلامه السّابق، وهي هنا تفيد السّخرية من تناقض كلام صاحب الخان مع فعله؛ حيث يقول ما لا يفعل.

- الوسائل التركيبيّة:

١- الاستفهام:

- في المشهد الذي يظهر فيه رئيس جند المُسوّدة مُخاطبًا عبد الرّحمن بن معاوية عندما كان يهمّ بقتل أخيه هشام:

-"رئيس الجُند: هذا أخوك في أيدينا يا ابن معاوية، **هل تهمك حياته حقا؟!**، إذًا ارجع إلينا إذا كنت حريصًا عليه".

-"رئيس الجُند: إنه ما يزال غلامًا، **هل يفرط الرجل بدمه؟!**"[٣٨].

يمثل الاستفهام:"هل تهمّك حياته حقا؟!" و"هل يفرّط الرّجل بدمه؟" فعليْن إنجازييْن غير مُباشريْن؛ فالمغزى من الاستفهامين ليس طلب الإجابة من عبد الرّحمن بن معاوية؛ فالإجابة معروفة؛ هذا أخوه وبالطبع فإن حياته تهمّه وبالتالي فلن يفرّط في دمه فهو يقصد التقرير؛ وهما سؤالان يُقصد بهما الضغط على عبد الرّحمن للعودة وتسليم نفسه لبني العبّاس.

وهذا ما يسمّى في النظرية التداولية بـ"الاستلزام الحواري" Conversational implicature الذي وضع جرايس H.P. Grice الأسس المنهجية له. وقد كانت نقطة البدء عنده هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل همه إيضاح الاختلاف بين ما يُقال What is said، وما يُقصد What is meant، فما يُقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية face values وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادًا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يُتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقيم معبرًا بين ما يحمله القول من معنى صريح explict meaning وما يحمله من معنى متضمّن inexplicit meaning[٣٩].

إن فكرة الاستلزام الحواري تتلخص في أن المتكلم يقول شيئًا يختلف عمّا يعنيه بنسبة ما. كما اتضح في السؤالين السّابقيْن؛ فالمتكلم (رئيس الجند) يقصد معنى أكبر من كوْنه مجرّد تساؤل إجابته معروفة سلفا، بناءً ما يُسمَّى بـ"الافتراض المُسبق" Presupposition؛ حيث يوجّه المتكلم حديثه إلى السّامع على أساس ما يفترض أنه معلوم له(٤٠). فما هو معلوم لرئيس الجند أن هشامًا أخو عبد الرّحمن الصّغير، وأن عاطفته ولا شك ستتحرّك عندما يراه موشكا على الموت، وبالتالي سيعود إليه محاولا إنقاذه.

● في المشهد الذي أنقذ فيه بدر الأمير عبد الرحمن من جند المُسوِّدة بتظاهره أنه السيّد وعبد الرحمن خادمه:

"- رئيس الجند: هل أنت متأكد أن هذا عبدك؟

- بدر: **وهل يخفى العبد على سيّده يا سيّدي؟**"(٤١)

السّؤال هنا يخرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى التداولي المتمثل في إفادة النفي؛ أي ألا يخفى العبد على سيّده.

● وفي الحوار السّابق نفسه:

"- رئيس الجند: عبد الرحمن بن معاوية.

- بدر: عبد الرحمن بن مَنْ؟

- رئيس الجند: ابن معاوية، حفيد هشام بن عبد الملك.

- بدر: **تعني هذا؟** ... **أتشبه عبدي بأمير أموي؟** ... هل تسمع أيها الأحمق؟ ... **هذا أمير أموي؟ هذه هيئة أمير؟".**

....

- رئيس الجند :"تصمت أم أقطع لسانك؟".

يحمل تتابع الاستفهام هنا معنى الإمعان في السّخرية من الأمير؛ كي تنطلي الخدعة عليهم، فيصدّقون أن بدرًا هو السيّد وعبد الرّحمن خادمه، وبالتالي ينجو من بطشهم.

ويجب الإشارة إلى أن الحركات في اللغة المنطوقة تأتي مُصاحبة للكلام؛ وبالتالي فهي تزيد من قوة دلالتها؛ فالاستفهامات المتتالية هنا جاءت مُصاحبة لحركات يدي بدر المُشير بسخرية إلى عبد الرّحمن بن معاوية، ممّا عكس قوّتها في التعبير عن السّخرية، والتقليل من قدر عبد الرّحمن.

واستُخدمت الاستفهامات هنا أفعالا كلامية غير مُباشرة عن طريق التنغيم المُصاحب لها الذي يُحوّل الكلام التقريري في قوله:"تعني هذا؟"، و"هذا أمير أمويّ؟"، و"هذه هيئة أمير" إلى طلب، وهذه سمة تميز اللغة المنطوقة.

● وفي المشهد التالي بعد انصراف جند المُسوّدة يقول عبد الرحمن مُخاطبًا بدرًا:

"ماذا أبقيت من ألفاظ الشتيمة والإهانة لعبدك الآبق؟!(٤٢)

يدلّ الاستفهام هنا على شدّة غضب عبد الرّحمن من بدر؛ ذلك الغضب الذي كظمه طيلة الوقت الذي تظاهر فيه بدر أنه سيّده، ثمّ أخرجه فور رحيل جُند المُسوّدة؛ يريد بالسؤال النفي لا الاستفهام؛ يعني: ما أبقيت من ألفاظ الشتيمة...

● في المشهد الذي يقع فيه الثلاثة (عبد الرحمن وخادماه) في أيدي اللصوص، يقول أبو شجاع مُخطابًا بدرًا وهم جميعًا في الوثاق:"**أهذا هو الفرج الذي صحت به؟!**"(٤٣)

يفيد الاستفهام هنا التوبيخ، حيث يوبّخ أبو شجاع بدرًا؛ لأنه هلل في بادئ الأمر عندما رأى اللصوص ظنًا منه أنهم الفرج الذي انتظروه. والفعل الكلامي هنا (ممثلا في الاستفهام) يُعدّ فعلا كلاميًا غير مباشر بخروجه عن المعنى الحرفي للاستفهام إلى معنى آخر يقصده المستمع.

● يقول بدر مخاطبًا أبا شجاع بعد أن قتل اللصّ وفك وثاقه ووثاق الأمير:"**أنا نذل حقير؟ ما اطمأنت نفسك يومًا لي؟ أظهر غير الذي أبطن؟**"(٤٤).

تمثل الاستفهامات هنا أفعالا كلامية غير مباشرة؛ حيث تستخدم الجمل الإخباريّة بمعنى الطلب عن طريق النغمة التي تُنطق بها، وكأنه يريد أن يقول: هل أنا نذل حقير؟ أما اطمأنت نفسك إليّ يومًا؟ هل أظهر غير الذي أبطن؟؛ توبيخا له على استعجال سوء الظن به، وقد كان يقصد بحيلته إنقاذه وإنقاذ الأمير.

مثل الاستفهام البلاغي أو التنغيمي هنا قوّة تُضاف إلى قوّة المنطوق الإنجازيّة حيث لا يُستخدَم لطلب الإجابة أو الحصول على المعلومة؛ وإنما هو يمثل فعلا كلاميًا غير مُباشر يثير لدى المتكلم والمستمع أبعد من وظيفة الاستفهام الأساسيّة.

والنماذج التي تشتمل على الاستفهام التنغيمي كثيرة، ومن بينها ما يلي:

● في المشهد الذي يظهر فيه الثلاثة مختبئين داخل أحد الجبال، يظهر بدر وأبو شجاع وهما يراقبان الطريق، فيلمحان جنود المُسوِّدة، فيصمتان فجأة، فيقول عبد الرّحمن: ما بكما قد...؟!

- بدر: هسسس...

- عبد الرّحمن: **تسكتني لا أبًا لك!**(٤٥)

جاء الفعل الكلامي التقريري "تُسكتني؟ لا أبًا لك" لإفادة معنى فعل إنجازي غير مُباشر وهو الاستفهام الذي يفيد الزجر؛ وكأنه يريد القول: أتسكتني؟ لا أبًا لك.

● في المشهد الذي يدور في القدس، يقول أبو صالح (صاحب المنزل الذي نزل فيه الأمير عبد الرّحمن وخادميْه) موجهًا الكلام إليهم:"**لم نسألكم عن عملكم**"(٤٦)

- بدر: كنا تجارًا، وهلكت تجارتنا".

تأتي الجملة الخبريّة "لم نسألكم عن عملكم" للدّلالة على معنى غير مُباشر وهو الاستفهام؛ فهو يريد أن يسأل: ما عملكم؟ أو ماذا تعملون؟؛ ولكنه استخدم الخبر هنا على سبيل التأدّب وتجنب الأسلوب الذي يظهر التدخل في شئونهم بصورة مُباشرة عن طريق استخدام الاستفهام صريحًا.

٢- الأمر:

● في المشهد الذي يطارد فيه جُند المُسوّدة عبد الرّحمن وأخيه هشام حتى النهر، يقول عبد الرّحمن مُخاطبًا هشامًا وهما يسبحان:"تابع السّباحة هيّا ... الحق بي ... الحق بي ... أسرع بحق الله ...

أسرع، لا تغترّ بأمانهم ... جرّبناهم من قبل ... ناشدتك الله يا أخي ... تابع يا هشام"(٤٧).

الغرض الإنجازي للأمر هنا ليس الاستعلاء؛ وإنما الرّجاء؛ فعلى الرّغم من صدور الأمر من كبير (عبد الرّحمن بن معاوية) إلى صغير (هشام بن معاوية)؛ فإنه هنا يرجوه أن يستجيب لكلامه، وزادت القوّة الإنجازية للفعل هنا عن طريق تكرار الأمر نفسه (تابع ... الحق ... الحق ... أسرع... أسرع ... تابع).

وانتقال الغرض الإنجازي للأمر من دلالته الأصلية وهي الاستعلاء إلى الدّلالة على الرّجاء هو ما يجعل الأمر هنا فعلا كلاميًا غير مُباشرًا.

ويظهر الغرض نفسه في هذا الموقف ذاته بعد استجابة هشام لرئيس جُند المُسوّدة ورجوعه، في قول عبد الرّحمن:"ارجع يا هشام، ارجع يا أخي، ارجع يا حبيبي، هشام ... هشام ... هشام ...".

وقبل مقتل هشام يقول عبد الرّحمن باكيًا:"سامحني يا أخي ... سامحني؛ ولكنّي أعلم أن أمانهم كاذب"، وبعد مقتله في نهاية المشهد يقول (وهو يسقط على ركبتيه على الأرض):"أعنّي يا ربّ، أعنّي بظهر قويّ، واربط على قلبي حتى يبلغ الكتاب أجله".

المنطوقات الثلاثة السّابقة "أعنّي ... أعنّي ... اربط ..." هي أفعال إنجازيّة مُوجّهة من العبد إلى الله سبحانه وتعالى، وهو يخرج عن الأمر هنا ليناسب غرضًا آخر وهو: الدّعاء؛ وبالتالي فهو فعل كلامي غير مباشر.

● في المشهد الذي يتظاهر فيه بدر أمام جُند المُسوِّدة بأنه السيّد والأمير عبد الرّحمن هو خادمه، يقول بدر مخاطبًا رئيس جُند المسودة:" **انظروا إليه**، إنه أقل عقلا من أن يعرف الطرفة إذا وقعت"(٤٨).

الأمر هنا يفيد التحقير والتقليل من شأن الأمير عبد الرّحمن، وقد جاء مُصاحبًا لحركات يد بدر ووجهه التي تعمّد فيها المُبالغة في التقليل من شأن الأمير عبد الرّحمن، كي تنطلي عليهم حيلته فينجو منهم.

● وفي المشهد السابق نفسه يقول بدر مُخاطبًا رئيس جُند المُسوِّدة:"**ألا تعيرني صوتك لأؤدب به هذا الآبق!**"(٤٩).

هنا خرج الخبر عن معناه لإفادة معنى الأمر، وكأنه يريد القول: أعرني صوتك لأؤدّب به هذا الآبق.

● في المشهد الذي يدور في الصّحراء، يقول عبد الرّحمن مخاطبًا بدرًا:"**فغالب نزغات الشيطان**، الطعام ضرورة؛ ولكن سرقة الطعام من عمل الشيطان"(٥٠).

وقد جاء الأمر هنا لإفادة النّصح.

وقد يأتي الأمر وسيلة للتخلص من المستمع بإنهاء الموقف، وذلك بوصفه نوعًا من أنواع التعبير عن عدم المبالاة بكلام المتكلم وتحويل الموقف؛ كما ورد في المشهد الذي دار في الخان، حيث يدور الحوار التالي بين صاحب الخان وبدر:

- "- بدر: كم نصيبك من الدنيا يا أبا صالح؟
- أبو صالح: عشرون درهمًا على الواحد في الليلة الواحدة.
- بدر: وماذا أبقيت لغيرك من الدنيا؟
- أبو صالح: ما قسم الله لهم.
- بدر: هيا ... **أرنا الغرفة**"(٥١).

الأمر هنا استخدِم في الموقف لإنهاء كلام أبي صالح صاحب الخان الجَشِع، وقد جاء الفعل الكلامي مُصاحبًا لحركات بدر الدّالة على الضيق من حواره مع هذا الرّجل، ورغبته في عدم الاستمرار فيه.

ومثله أيضا قول بدر له:"اترك الغرفة الآن، وَأْمُر لنا بطعام وشراب".

كما قد يأتي الأمر نوعًا من الاستدراج، مثلما ورد في المشهد السابق في حوار بدر وأبي صالح:

"- أبو صالح: الدفع مقدمًا يا سيّدي.

- بدر: لِمَ؟ هل تخشى أن نغافلك قبل أن ندفع؟

- أبو صالح: المعذرة يا سيّدي، فأنا لا أعرفكم، وقد غافلني بعضهم، فحلفت بالله يمينًا مغلظا لا ينزل أحد عندي قبل أن يدفع، **فأعنّي على برّ يميني يا سيّدي**".

فصاحب الخان هنا يستدرج بدر عن طريق استخدام حُجّة الالتزام بما أمر به الدّين؛ فيستخدم الأمر فعلا كلاميًا يريد به إنجاز قصده وهو: ليس لي الخيار في أخذ الإيجار مقدّما؛ وإنما أنا مُجبر على فعل ذلك برًا بيَمِينٍ قطعته على نفسي.

وقد يخرج الخبر عن معناه أيضًا لإفادة معنى الطلب أو العكس، ومن النماذج الدالة على ذلك ما يلي:

- في المشهد الذي يسخر فيه بدر من عبد الرّحمن بن معاوية، يقول بدر مخاطبًا رئيس جُند المُسوّدة:"أيّ جرم ارتكبه عبدي هذا؟ سوّد الله وجهه ... **لا بارك الله في الذي غرّني به**"(٥٢).

وُضع الخبر هنا في موضع الطلب لإفادة الدّعاء. وكأنه يريد القول:"اللهمّ سوّد وجهه ... اللهمّ لا تبارك فيمَنْ غرني به".

وفي المشهد نفسه، يقول رئيس الجند مخاطبًا بدرًا: إننا نبحث عن رجل من بني أمية.
فيرد عليه بدر: بني أمية! هل بقي أحد منهم؟! **قتلهم الله،** لقد أخذهم الله بذنوبهم حتى صاروا أثرًا بعد خبر، وأراحنا من بطشهم"(٥٣).
فالجملة الخبرية "قتلهم الله" خرجت عن إفادة الإخبار إلى معنى الدّعاء.

- في المشهد الذي يظهر فيه الأمير وخادماه في الصّحراء؛يقول بدر:"...ولكن أميرنا ليس كالأمراء، وآخر ما يُتهم به الآن التنعُّم والبطر"، فيردّ عليه عبد الرّحمن:"**بارك الله فيك أنك برّأتني من التهمة،** أم أحمد الظروف التي حالت بيني وبين مقاربتي اسم التنعم والبطر"(٥٤).

استخدمت الجملة الخبرية "بارك الله فيك أنك برأتني من التهمة" لإفادة معنى الدّعاء (الطلب)، وكأنه يريد أن يقول: "اللهمّ بارك فيك ...".

● في المشهد الذي يظهر فيه الثلاثة في الخان، يقول بدر مخاطبًا صاحب الخان: "لن تنزلنا مع كلّ هؤلاء!"، فيردّ عليه:"لستم في دمشق أو الكوفة يا سيّدي، وبخمسة دراهم على الرأس في الليلة، **لا تتوقع أفضل من هذا**"(٥٥).

جملة النهي "لا تتوقع أفضل من هذا"؛ جاءت هنا لإفادة الاستبعاد لا طلب الكف عن فعل شيء.

● في المشهد الذي يظهر فيه جُند المُسوّدة في القدس يبحثون عن عبد الرّحمن وخادميه، فيختبئ الثلاثة في قش بجوار بيت الرّجل المقدسي الذي نزلوا عنده، فيصيبه أحد الجنود بسيفه أثناء تفتيشه عنه في القش، فيدور الحوار التالي بين أبي عثمان (صاحب البيت) وبدر:

"- أبو عثمان: قد أصابك.

- بدر: ليس شيئًا؛ إنما هو خدش ... **اللعنة عليه** ... كما قلت ليس شيئًا.

- أبو عثمان: كيف لم تصرخ إذ أصابك؟

- بدر: وأعطيه حاجته؟ **اللعنة عليه**"(٥٦).

خرجت الجملة الخبرية "اللعنة عليه" عن معناها التقريري إلى معنى إنشائي يفيد الدّعاء، فكأنه يدعو على الجندي الذي أصاب قدمه قائلا: اللهم العنه.

● وفي المشهد الذي يدور في المكان الذي نزل فيه الثلاثة في القدس، يدور هذا الحوار بين بدر وأبي عثمان (صاحب المكان):

"- أبو عثمان: لم نسألكم عن عملكم.

- بدر: كنا تجارًا وهلكت تجارتنا.

- أبو عثمان: **أحسن الله عوضكم** ..."(٥٧).

فالجملة الخبرية "أحسن الله عوضكم" جاءت هنا لإفادة معنى الطلب، وهو: اللهمّ أحسن عوضكم.

● وفي المشهد الذي يظهر فيه الثلاثة يهمّون بمغادرة بيت المقدس، يقول أبو عثمان مُخاطبًا عبد الرّحمن:"وداعًا يا سيّدي، **كان الله معك في حِلك وترحالك**"(٥٨).

الجملة الخبرية هنا أيضًا تحمل معنى الدّعاء، وكأن أبو صالح يقول: اللهم كن معه في حله وترحاله.

● في المشهد الذي يظهر فيه عبد الرّحمن وخادماه في القيد في الصّحراء، يقول ثعلبة: (أحد اللصوص الذي كان يحرسهم لئلا يهربوا) مُخاطبًا بدرًا: "ألا تصمت؟ **قطع الله لسانك**"(٥٩).

فجملة "قطع الله لسانك" تعبّر في معناها الحرفي عن حدوث الفعل في الماضي؛ أي أنها جملة خبريّة؛ لكنها من المنظور التداولي في السياق الكلامي جملة خبرية تفيد معنى الطلب، ونوع الطلب

هنا الدّعاء. أي: اللهمّ اقطع لسانه.

● في المشهد الذي يدور بين عبد الرحمن بن معاوية وأحد أقاربه الذي نزل عنده في القيروان:

"- عبد الرحمن: لا أحسب أن الأموات يريدوننا أن نهلك في إثرهم مع عظم المصيبة.
- الرّجل: **رحم الله إخوتكم** ...مَنْ خلّفت وراءك في الشام؟
- عبد الرّحمن: ولدي سليمان وأخي الوليد وأختي أم الأصبغ.
- الرّجل: وهل بلغك خبر عنهم؟
- عبد الرّحمن: (يومئ برأسه بالنفي).
- الرّجل: **جمعك الله بهم على خير**"(٦٠).

فالمنطوقان الخبريان:"رحم الله إخوتكم" و"جمعك الله بهم على خير"؛ قد تحولا من الدّلالة على الإخبار إلى إفادة معنى الفعل الإنجازي الدّال على الدّعاء؛ وكأنه يدعو قائلا: "اللهمّ ارحم إخوتكم" و"اللهمّ اجمعكم على خير".

● ومثلها أيضًا دعاء أبي جعفر المنصور لأخيه أبي العبّاس بقوله:"**أطال الله عمرك يا أخي**"(٦١).

وبالتالي يمكن القول إن استخدام الخبر لإفادة معنى الطلب يعدّ وسيلة تعمل على إضافة قوّة إلى قوّة المنطوق الإنجازيّة تتمثل في استخدام الفعل الماضي "بارك ... جمعك ... أطال ..." مقام الدّعاء، وكأن الله قد استجاب الدّعاء وتمّ ذلك في الماضي، فاستخدام الماضي هنا تيمنًا بحدوث الفعل.

٣- الوسائل الخطابيّة:

ويُقصد بها "الوسائل الخارجة عن النصّ Intra-textual devices أو ما يُسمّى وسائل ما وراء العملية التداولية meta pragmatic devices، وما يتفرّع عن ذلك من وسائل لغوية فرعيّة تضيف قوّة إلى قوّة المنطوقات الإنجازيّة"(٦٢).

ومن الوسائل الخطابيّة التي وردت في عينة الدّراسة: التكرار، وعدم اكتمال المنطوقات، واستخدام العناصر الدّيالوجية. وهي على النّحو التالي:

(١) التكرار:

وهو وسيلة بلاغيّة مهمّة يقصد إليها المتكلم لتقوية قوّة المنطوق الإنجازيّة، والتكرار تعرفه الشفرتان المنطوقة والمكتوبة، وإن كان تأثيره في بنية الشفرة المنطوقة التلقائية أقوى(٦٣). ويظهر في حوارات مشاهد المسلسل على النحو التالي:

●في المشهد الذي يلاحق فيه جُند المسوِّدة عبد الرّحمن وأخيه هشام حتى النهر، يخاطبهم رئيس الجُند: "**ارجعـا** ولكمـا أمـان أمير المؤمنين، **ارجعـا لا بـأس عليكمـا** ... لكما عهد الله وذمة أمير المؤمنين؛ إن رجعتما ألا يمسكما منا سوء ... هيا **ارجعا لا بأس عليكما**"(٦٤).

● وفي الموقف السّابق نفسه يقول عبد الرحمن (مُخاطبًا هشامًا):

"- **عبد الرّحمن:** ما يوقفك؟ **تابع** السباحة هيا، **الحق بي** ... **الحق بي** ... **أسرع** بحق الله ... **أسرع** ... لا تغتر بأمانيهم، جربناهم من قبل، ناشدتك الله يا أخي **تابع** ... **تابع** يا هشام.

- **رئيس الجند:** بلى والله، إنه لأمان حق هذه المرة، أعطيك ميثاق الله أيها الفتى، **أقبل ... أقبل،** قد انتهى خوفك وعذابك، ولن تقوى على بلوغ الضفة الأخرى فتغرق.

- **عبد الرحمن: ارجع يا هشام، ارجع يا أخي، ارجع يا حبيبي، هشام ... هشام ... هشام ... هشام... هشام"**.

التكرار هنا جاء للتأثير على هشام من جانبيْن متناقضيْن؛ **أحدهما** يريده أن يتقدّم ناحية الشاطئ: ويظهر في تكرار رئيس جند المُسوِّدة له ولأخيه عبد الرحمن في البداية ثمّ له وحده، **والآخر** يريده أن يستمرّ في السّباحة هربًا من الجُند؛ ويتضح في قول عبد الرحمن.

- في المشهد الذي يتظاهر فيه بدر أمام جُند المُسوِّدة بأنه السيّد وعبد الرّحمن خادمه، يدور الحوار التالي بين رئيس الجُند وبين بدر:

"- **رئيس الجند:** أجب على قدر السؤال.

- **بدر:** أ ... العفو يا سيّدي، العفو ... أ ... صدقت، مَنْ كثر كلامه كثر غلطه ....

- **رئيس الجند: اصمت**.

- **بدر:** أ ... نعم، العفو يا سيّدي، العادة غلابة....

(يتملل رئيس الجند)

العفو يا سيّدي؛ ولكني شديد الغضب من هذا العبد..."(٦٥).

يتمثل التكرار هنا في تكرار الفعل نفسه مرّة بالكلام في قوله "اصمت"، والأخرى بحركة رئيس الجند الدّالة على التملّل من عدم توقف بدر عن الثرثرة؛ رغم تكرار تنبيهه عليه بالسّكوت.

- وفي المشهد السابق يأتي التكرار أيضًا في الحوار التالي:

"- **رئيس الجند:** هل أنت متأكد أن هذا عبدك؟

- **بدر** (ضاحكًا): وهل يخفى العيد على سيّده يا سيّدي؟ والله والله لو اختفى في ألف رجل لعرفته (ينظر إليه وهو يشمه) إف ... إف ... **أحمله على الاغتسال فيأبى ...أحمله على الاغتسال فيأبى ...**

أحمله على الاغتسال فيأبى، كأنه القط الذي يكره الماء"(٦٦).

يأتي التكرار هنا للمبالغة في الحط من شأن الأمير عبد الرّحمن من قِبل خادمه وبالتالي دفع الشك عن الجُنود أنه الأمير؛ وإلا فكيف يبالغ بدر في السخرية منه بهذه الطريقة.

- وفي المشهد السابق أيضًا يرد التكرار فيما يلي:

"- **رئيس الجند**: عبد الرحمن بن معاوية.

- **بدر**: عبد الرحمن بن مَنْ؟!

- **رئيس الجند**: ابن معاوية، حفيد هشام بن عبد الملك.

- **بدر**: تعني هذا؟ (يضحك بصوت عالٍ ساخرًا)،

أتشبه عبدي بأمير أموي؟ والله ما نال هذا العبد إطراءًا خيرًا من هذا...

أمير أموي ... **أمير أموي**، هل تسمع أيها الأحمق
هذا **أمير أموي**؟ هذه هيئة **أمير أموي**؟
لا والله، لا يفقه ما يدور حوله".

يأتي تكرار عبارة "أمير أمويّ" مُصاغة بطرق مختلفة هنا أيضًا تحقيقا للغرض نفسه الذي يقوم عليه المشهد كله؛ وهو: المبالغة في الحط من شأن الأمير عبد الرّحمن والإغراق في السّخرية منه حتى يُصدّق الجُند أنه ليس الأمير.

- في المشهد الذي يظهر فيه عبد الرحمن وبدر ليلا، يدور هذا الحوار بينهما:

"- **عبد الرحمن**: ولكن كيف تبعت أثري حتى وجدتني؟!
- **بدر**: **أحسن الظن بخادمك يا سيّدي**... أ .. غدًا في الفجر يكون أبو شجاع في انتظارنا بالركائب.
- **عبد الرحمن**: ومَنْ الذي أتى بأبي شجاع؟
- **بدر**: أختكم السيّدة أم الأصبغ أصرّت على أن يلتحق بك.
- **عبد الرحمن**: وما حاجتنا به؟ إنه رجل عجوز.
- **بدر**: ولكنه يعرف المغرب الأقصى والأندلس.
- **عبد الرحمن**: وما أدراك أن هذه وجهتي؟
- **بدر**: قلت لك **أحسن الظن بخادمك بدر**"(٦٧).

تأتي الجملة نفسها متكرّرة مرّتين على مستوى الحوار لا متتالية؛ وهي جملة تمثل إجابة بدر عن سوالَيْن مختلفين لعبد الرّحمن بن معاوية: السؤال الأول "ولكن كيف تبعت أثري حتى وجدتني؟"، والسؤال الثاني "وما أدراك أن هذه وجهتي؟"، وتدلّ الإجابة المتكرّرة على إيصال رسالة من بدر إلى عبد الرّحمن وهي: أنه خادم وفيّ لسيّده، يهتمّ لأمره ولا ينتظر أمرًا ليفعل؛ وإنما هو يفعل ما يتوجّب عليه فعله. تعتمد الجملة المتكرّرة على الافتراض المُسبق لدى بدر؛ **ففي الأولى** لديه افتراض مُسبق أن سيّده عبد الرّحمن مُطارَد من قِبل بني العبّاس، وأنه مُعرّض للإمساك به في كلّ وقت؛ لذا فهو يتابع خطواته حتى دون أن يفطن عبد الرّحمن إليه، ومن ثمّ فقد تبعه إلى النهر وأنقذه بحيلته. **وفي الثانية** لديه افتراض سابق أن هناك نبوءة رآها جد الأمير عبد الرّحمن؛ تذهب إلى أن دولة بني أميّة ستموت في المشرق، ويُحييها في الأندلس رجل من بني أميّة اسمه عبد الرّحمن. وأن أميره عبد الرّحمن ما كان فراره من بني العبَّاس خوفا من بطشهم فحسب؛ وإنما كانت نيّته الفرار من الشام إلى الأندلس لإقامة دولتهم بها.

- في المشهد الذي يظهر فيه عبد الرحمن وبدر وأبو شجاع ممتطين الخيول، يدور هذا الحوار:

"- عبد الرحمن: كأنك تمضي إلى الشمال!
- بدر: هو ذاك يا سيّدي.
- عبد الرحمن: ولكننا نريد الجنوب.
- بدر: وهذا ما يعرفه المُسوّدة، ولذا نمضي إلى الشمال أولا ثم نتحوّل إلى الجنوب ثانيًا.

- عبد الرّحمن: ألا تستشيرني فيما تفعل أولا؟!
- بدر: **عينيك ... عينيك** يا سيّدي"[٦٨].

يأتي التكرار هنا وسيلة لتحويل الموقف ورفع الحرج عن الأمير عبد الرّحمن؛ بناء على افتراض مُسبَق مبنيّ على: معرفة بدر بالطريق، وبالأماكن التي يتربّص فيها جُند المُسوِّدة بالأمير عد الرّحمن، ومُراعاة بدر مرض سيّده الذي يُعيقه عن تتبّع الطريق، وكأن بدرًا يريد به أن يقول: اترك الأمر عليّ يا سيّدي؛ ولا تحمل همّ الطريق؛ وكفاك مرض عينيك.

● في مشهد الخان يدور الحوار التالي:

"- صاحب الخان: لستم في دمشق أو الكوفة يا سيّدي، **وبخمسة دراهم على الرأس في الليلة**، لا تتوقع أفضل من هذا.

- بدر: **خمسة دراهم على الواحد في الليلة الواحدة** في هذا المكان، ومع كل هؤلاء الناس؟"[٦٩].

وفي الموقف السابق نفسه أيضًا يرد التكرار التالي:

"- بدر: كم نصيبك من الدنيا يا أبا صالح؟

- أبو صالح: **عشرون درهمًا على الواحد في الليلة الواحدة**.

....

- أبو صالح: الحمد لله، وما الذي نغنمه من هذه الدنيا؟!

- بدر: **عشرون درهمًا على الواحد في الليلة الواحدة** في هذه الغرفة الحقيرة، لا بأس به مغنمًا في هذه الدنيا".

ورد المنطوق "خمسة دراهم على الرأس في الليلة الواحدة" على لسان صاحب الخان أولا، ثمّ تكرّر على لسان بدر ودلالته هنا التعجب. أمّا في تكرار المنطوق الثاني "عشرون درهمًا على الواحد في الليلة الواحدة" فقد جاء مُكرَّرًا على لسان بدر لإفادة السّخرية؛ فقد أعاد المنطوق ثانية للدلالة على معنى مُفارقي؛ فارتفاع السّعر مع وصفه للغرفة بـ"الحقيرة"، بالإضافة إلى نغمة المنطوق يعكسان سخرية بدر من هذا الرجل الذي يتكلم بالقرآن وتظهر أفعاله جشعه وطمعه.

٢- عدم اكتمال المنطوقات:

وهذه الظاهرة ترد كثيرًا في اللغة المنطوقة، وقد وردت في حوارات المسلسل في صورتيْن: تردُّد المتكلم ومقاطعة المستمع للمتكلم، وهما على النحو التالي:

- الصورة الأولى: تردّد المتكلم:

ويقع من جانب طرف واحد في الحوار؛ وهو المتكلّم؛ ومن النماذج الدّالة عليه ما يلي:

● في المشهد الذي يظهر فيه الثلاثة (عبد الرّحمن وبدر وأبو شجاع) وهو يمتطون جيادهم مودّعين الشام يدور الحوار التالي:

"- عبد الرّحمن: نعم، فلنملي عيوننا من الشام، فهذا آخر عهد لنا بها...

قفا ودّعا شامًا ومَنْ حلّ بالحِمى وقلّ لشامٍ عندنا أن يُودّعا

والله إنها لأحبّ أرض الله إليّ.

- بدر: الأندلس شبيهها.

- عبد الرّحمن: وليس الشبيه كالأصل؛ **ولكن ...**
نعم، نحملها معنا إلى هناك؛ فإن لم نكن فيها، فهي فينا"[٧٠].

ورد المنطوق الكلامي هنا "ولكن ..." غير مكتمل؛ وذلك نوع من تأثر عبد الرّحمن وحزنه الشديد لمفارقته الشام مُجبرًا؛ فالانفعال سيطر عليه فحال دون اكتمال المنطوق؛ وهذا نوع من إضعاف المنطوق الكلامي.

● في المشهد الذي يظهر فيه الخليفة العبّاسي أبو العبّاس وأخوه أبو جعفر وأعمامه، يدور الحوار التالي بشأن طلب أبي مسلم الخراساني عمته للزواج:

"- أبو جعفر: أو قد بلغ به الأمر أن يخطب عمّتي، أختكما (مشيرًا إلى عمّيه). ألم أكن أقول لكم، لم يعد فوقه غيرنا يتطاول إلى منازلهم، هذا الأعجميّ الأفّاق الذي صنعناه على أعيننا، **غلام السرّاجين الذي ...** سأقتله، وحق الله سأقتله.

- أبو العبّاس: لن تفعل شيئًا وأنا الخليفة"[٧١].

لم يُكمل المتكلم (أبو جعفر) جملة "غلام السرّاجين الذي..."، وواصل كلامه بعدها؛ ذلك الاسترسال في الكلام بعد بعض المنطوقات الناقصة البنية يصنعه الانفعال الذي يصيب المتكلم. ويمثل بدوره سببًا في إضعاف قوّة المنطوق الإنجازيّة.

- الصّورة الثانية: مقاطعة المستمع للمتكلم:

ويتمّ عن طريق طرفي الحوار (المتكلم والمستمع)؛ فالمتكلم يقوم بالفعل الكلامي، والمستمع يُوقفه، ويُلاحَظ أن الخطاب الشفهي، لا سيّما في حالة الديالوج، يتعرّض للقطع المباشر من جانب المُشاركين في الكلام[٧٢]، ومن النماذج الدّالة عليه ما يلي:

● في المشهد الذي يتظاهر فيه بدر أمام جُند المُسوِّدة بأنه السيّد وعبد الرّحمن خادمه، يدور الحوار التالي:

"- رئيس الجند: مَنْ أنت؟!

- بدر: أنا؟! أبو العبّاس فضل بن محمّد، تاجر من قنسرين، أشتري الحبوب وأبيعها، وأقدم على
القرى وقت الحصاد، **فأجمع ...**

- رئيس الجُند: أجب على قدر السؤال!

- بدر: آ ... العفو يا سيدي، العفو ... آ ... صدقت؛ مَنْ كثر كلامه كثر غلطه، **ولسان الإنسان حصانه، و ...**

- رئيس الجُند: اصمت!

- بدر: آ ... نعم، العفو يا سيّدي، العادة غلابة، **والطبع يغ**ـ ... (يتململ رئيس الجند)، فيسكت بدر ثم يقول: العفو يا سيّدي؛ ولكني شديد الغضب من هذا العبد...."[٧٣].

هنا وردت ثلاثة أفعال كلامية غير كاملة؛ عن طريق مقاطعة المستمع (رئيس الجُند) للمتكلم (بدر)؛ وقد تجلّت المُقاطعة هنا على صورتيْن:

- الأولى: عن طريق فعل كلامي آخر: وقد ظهرت في قولي رئيس الجُند: "أجب على قدر السؤال!"، و"اصمت!".

- الثانية: عن طريق حركة جسديّة تمثلت في حركة رأس رئيس الجُند مُظهرًا التملل والضجر من ثرثرة بدر، وبالتالي إسكاته.

والمقاطعة هنا وسيلة من وسائل إضعاف القوّة الإنجازيّة للمنطوق الكلامي لبدر.

- في المشهد الذي يدور في الخان، يدور الحوار التالي بين بدر وصاحب الخان:

"- بدر: كم نصيبك من الدّنيا يا ...؟
- صاحب الخان: خادمكم أبو صالح."

جاءت مُقاطعة المستمع (أبو صالح) لمنطوق المتكلم (بدر) هنا بمثابة استكمال لكلامه، وبالتالي فهي بمثابة تقوية لمنطوق الفعل الكلامي لبدر.

- وفي المشهد السّابق أيضًا:

"- بدر: عشرون درهمًا على الواحد في الليلة الواحدة في هذه الغرفة الحقيرة، لا بأس به مغمنًا في
هذه الدنيا.
- أبو صالح: يا سيّدي، أنا رجل كثير المَشغلة، **فإن شئت ...**
- بدر: **شئنا ... شئنا**، اترك الغرفة الآن، وأؤمر لنا بطعام وشراب"[٧٤].

أظهرت مقاطعة المستمع (بدر) المتكلم (أبو صالح) نوعًا من الضجر؛ حيث يوفقه عن استكمال كلامه مللا من حديثه، وبالتالي فالمُقاطعة وسيلة لإضعاف المنطوق الكلامي.

- في المشهد الذي يظهر في مصر يدور حوارًا بين بدر وأبي شجاع بخصوص الأمير عبد الرّحمن:

"- بدر: أين الأمير؟
- أبو شجاع: اشتاقت نفسه للصلاة مع الناس، فخرج إلى المسجد.
- بدر: وحده.
- أبو شجاع: لا، مع خدمه وحشمه ومواليه.
....
- بدر: وهل يأمن الخروج بين الناس؟
- أبو شجاع: لم نسمع أنهم يشتدون هنا في طلب بني أميّة.
- بدر: ومع ذلك الحيطة أولى.س
- أبوشجاع: لا أراك تأخذ الحيطة و....
- بدر: أنا لست الأمير"[٧٥].

وردت مقاطعة المستمع (بدر) للمتكلم (أبو شجاع) بغرض إسكاته عن استكمال الفعل المنطوق، والتعبير عن غضبه على ترك أبي شجاع الأمير عبد الرّحمن يخرج وحده.

٣- استخدام العناصر الحواريّة:

وقد جاءت متمثلة في استخدام كلمات يتميّز بها الحوار، ومنها:

● في المشهد الذي يتظاهر فيه بدر بأن عبد الرّحمن خادمه، يقول مُخاطبًا رئيس الجُند: "المعذرة يا سيّدي؛ ولكن لم تقل لي أيّ حماقة ارتكبها هذا الشقيّ ... **أعني** غير هربه مني"(٧٦).

العنصر الحواريّ هنا هو الفعل "أعني"؛ وهو يأتي للتوضيح، وقد ورد أيضًا في المواضع التالية:

(١) في المشهد الذي يظهر الثلاثة فيها في الخان، يقول بدر مُخاطبًا صاحب الخان:" بدر: يجب أن يكون لديك غرفة لنا، **أعني** لنا وحدنا"(٧٧).

(٢) في المشهد الذي يظهر في مصر، يدور الحوار التالي بين أبي شجاع وبدر:

"- أبو شجاع: ومع ذلك، فإني أراك تتصرّف وكأنك وإيّاه سواء.

- بدر: هل تريدني أن أقبّل يده ونحن في الفرار، والعيون تحيط بنا من كلّ جانب؟

- ليس هذا؛ **أعني** يُخيّل لي أحيانًا أنك سعيد بحال التخفي والفرار؛ لأن هذا يسوّي بينكما كما تظن.

ويُعفيك الخدمة وموضع الكلام من أميرك"(٧٨).

● في المشهد الذي يظهر في القدس، يقول عثمان ابن صاحب البيت الذي نزل فيه عبد الرّحمن وخادماه:

"**انظروا** إلى حال الدّنيا، أين كان بنو أميّة؟، وأين أصبحوا؟ بين قتيل وشريد؛ إلا من استأمن بذله، وكانوا ملء السمع والبصر ملوك الدّنيا"(٧٩).

العنصر الحواري هنا هو استخدام الفعل: انظروا، ويفيد لفت انتباه المستمع.

● في المشهد الذي يظهر فيه عبد الرّحمن وبدر في الصّحراء، يدور بينهما الحوار التالي:

"- عبد الرّحمن: ومّنْ الذي أتى بأبي شجاع؟

- بدر: أختكم أم الأصبغ أصرّت على أن يلتحق بك.

- عبد الرّحمن: وما حاجتنا به! إنه رجل عجوز.

- بدر: ولكنه يعرف المغرب الأقصى والأندلس.

- عبد الرّحمن: وما أدراك أن هذه وجهتي؟

- بدر: **قلت لك** أحسن الظن بخادمك بدر"(٨٠)

العنصر الحواري هنا هو الفعل "قلت"، ويفيد التنبيه.

خاتمة الدّراسة:

وبعد تحليل الحوارات التي وردت في بعض حلقات مسلسل "صقر قريش" توصّلت الدّراسة إلى أن هناك مجموعة من الوسائل المختلفة يستخدمها المُرسِل لتعديل القوّة الإنجازيّة لأفعال الكلام بحسب الغرض الذي هو بصدده، وتمثلت تلك الوسائل في الدّراسة ما يلي:

(١) الوسائل الخارجة عن نطاق اللغة: وقد ظهرت في لغة الجسد التي صاحبت الفعل الكلامي؛ أو ما سمّي بـ"مصاحبات المنطوق"؛ وقد مثلت هذه المُصَاحَبات دورًا مهمًا في حوارات مسلسل "صقر قريش" باعتبارها ممثلة للاتصال المنطوق الذي لا يستغني عن تلك المُصاحَبات؛ بل إنها تعدّ جزءًا مُكمِلا للعملية التواصلية وعاملا مهمًا لنجاحها؛ ومن بين المُصاحبات التي وردت فيها ما يلي:

- **حركات العينين**: وقد استُخدمت في المسلسل إمّا منفردة أو مُصاحبة للكلام.
- **حركات اليدين:** وقد جاءت في أغلب مشاهد المسلسل مُصاحبة للفعل المنطوق.

(٢) الوسائل اللغويّة: ومن الوسائل اللغوية التي وردت في حوارات المسلسل ما يلي:

* **وسائل التشكيل الصوتي:** وهي الوسائل الفونولوجيّة التي تظهر في المنطوق، وقد ظهرت في الحوارات متمثلة في "النغمات التقابليّة"؛ وتعني تغيير نغمة كلمة أو جملة بطريقة تجعلها مختلفة عن نغمة بقية الكلام؛ مثل قول بدر مُخاطبًا رئيس جُند المُسوِّدة: "فخذووووه"؛ تقوية للفعل الكلامي.

* **الوسائل التركيبيّة:** وقد تمثلت في الحوارات كما يلي:

- **الاستفهام المجازي:** الذي يعتمد المتكلم في استخدامه على الافتراض المُسبَق لدى المتلقي للتعبير عن أغراض متعدّدة جاءت في الحوارات للنفي وللسخرية والتحقير، وللتعبير عن الغضب أو التوبيخ. مثلما ورد في استخدام رئيس جُند المُسوّدة للاستفهام مُخاطبًا عبد الرّحمن: هل يفرّط الرجل بدمه؟! مُعبرًا عن النفي.

- **الاستفهام التنغيمي:** وقد جاء في الحوارات عن طريق استخدام الجمل الخبرية للتعبير عن الطلب (الاستفهام) عن طريق استخدام التنغيم في النطق بها؛ مثلما ورد على لسان عبد الرّحمن مخاطبًا بدرًا: تسكتني لا أبًا لك؟

- **الأمر:** وقد استُخدم في الحوارات فعلا كلاميًا غير مباشر عن طريق توظيفه للدّلالة على مقاصد كثيرة تخرج عن المعنى الأمر الأصلي؛ وهو التوجيه؛ مثلما ورد في قول عبد الرّحمن مُخاطبًا أخاه هشام: الحق بي ... الحق بي ... لتقوية المنطوق الذي يفيد معنى "الرّجاء".

وقد ورد الأمر في الحوارات لإفادة مقاصد أخرى مثل: الدعاء والتحقير والنصح ولإنهاء الموقف ولاستدراج المستمع.

- **خروج الخبر عن معناه لإفادة معنى الأمر:** مثلما ورد على لسان بدر مخاطبًا رئيس الجند: "ألا تعيرني صوتك لأؤدب بها هذا الآبق؟!" يعني: أعرني صوتك لأؤدّب به هذا الآبق.

- **خروج الخبر عن معناه لإفادة معنى الدّعاء:** وقد وردت في الحوارات بكثرة متمثلة في:

١- **استخدام الجملة الفعليّة المبدوءة بالفعل الماضي:** سواء أكان الدّعاء سلبيًا؛ مثلما ورد على لسان بدر: سوّد الله وجهه، يعني: اللهمّ سوّد وجهه. أم كان إيجابيًا مثلما ورد على لسان أبي عثمان: كان الله معك في حلك وترحالك، يعني: اللهم كن معك في حلك وترحالك.

وقد جاء استخدام الخبر متمثلا في الفعل الماضي "بارك ... جمعك ... أطال ... كان..." لإفادة الدّعاء الإيجابي، ومثل وسيلة تعمل على إضافة قوّة إلى قوّة المنطوق الإنجازيّة، وكأن الله قد استجاب الدّعاء وتمّ ذلك في الماضي، وبالتالي فإقامته مقام الطلب بمثابة التفاؤل بحصوله.

٢- **استخدام الجملة الإسميّة:** وقد وردت في مثال واحد، في قول بدر:"اللعنة عليه".

(٣) الوسائل الخطابيّة:

وتمثلت في الحوارات فيما يلي:

(١) التكرار:

الذي يعدّ سمة أساسيّة في اللغة المنطوقة، وقد جاء في الحوارات متمثلا في ثلاث صور:

- الصّورة الأولى: ورد فيها بتكرار المنطوق الكلامي نفسه على لسان شخص واحد.
- الصّورة الثانية: جاء فيها الكلام المنطوق مكرَّرًا بحركة تعبّر عن المعنى نفسه الذي يحمله هذا الكلام.
- الصّورة الثالثة: استُخدم فيها تكرار المنطوق الكلامي على لسان طرفي الحوار (المتكلم والمستمع)؛ يردّد المستمع الكلام نفسه الذي يقوله المتكلم.

(٢) المنطوقات الناقصة:

وقد وردت في الدّراسة في صورتيْن:

- الصّورة الأولى: تردّد المتكلم.
- الصّورة الثانية: مقاطعة المستمع للمتكلم: وجاءت مقاطعة المستمع للمتكلم بطريقتيْن:

* مقاطعته عن طريق استخدام فعلا كلاميًا؛ وقد ورد على صورتيْن: إمّا أن المستمع يقاطع المتكلم مستكملا كلام المتكلم بمقاطعته، أو يقاطعه بغرض إيقافه عن مواصلة حديثه.
* مقاطعته عن طريق حركة جسميّة.

وقد جاءت الصّورة الثانية بنسبة أكبر من الصّورة الأولى.

(٣) استخدام العناصر الحواريّة: وقد جاءت متمثلة في الأفعال: أعني ... انظروا ... قلت ...

فهرس المراجع

أولا: الكتب:

(١) جـون أوستين: نظـرية أفعـال الكـلام العامة، كيف ننـجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.

(٢) د. حافظ إسماعيل بدوي: التداوليات، علم استعمـال اللغة، عـالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤.

(٣) طـالب سيد هـاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فـلاسفة اللغة المعاصريين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.

(٤) د. طه عبد الرّحمن: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨.

(٥) د. عبد الهـادي الشهري: استرتيجيات الخطـاب، مقـاربة لغوية تداوليـة، دار الكتـاب الجـديد، بيروت، ٢٠٠٤.

(٦) د. علي محـمود حجـي الصـراف: الأفعـال الإنجـازية في العـربية المعـاصـرة، مكـتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤.

(٧) فان دايك: النص والسياق، استقصـاء البحث في الخطـاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القـادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠.

(٨) فرانسـواز أرمينكـو: المقـاربة التداولية، ترجمـة: سعيد علوش، مركز الإنمـاء القـومي، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

(٩) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمـان، دار الحـوار للنشر والتوزيع، سـورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

(١٠) د. محـمد العبد: النصّ والخطـاب والاتصـال، الأكـاديمية الحـديثة للكتـاب الجـامعي، الطبعـة الأولى، ٢٠٠٥.

(١١) ـــــــــــ: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، بحث في النظرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

(١٢) د. محـمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحـث اللغـوي المعاصر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ٢٠١١.

(١٣) د. نعمان بوقرة: المدارس اللسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤.

(١٤) نواري سعـودي أبو زيد: في تداولية الخطـاب الأدبي، المبـادئ والإجـراء، بيت الحكـمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.

(15) Bach, Kent: Meaning, speech acts, and communication. In Robert Harnish, ed. Basic Topics in the Philosophy of Language, 3–20. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1994.

(16) Gazdar, Gerald: Pragmatics: Implicature, Presupposition and Logical Form. New York: Academic Press, 1979.

ثانيًا: بحوث ودراسات:

(١) الطاهر لوصيف: التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، العدد ١٧، ٢٠٠٥.

(٢) نصيرة غماري: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد ١٧، ٢٠٠٦.

(٣) د. هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، الملتقي الوطني في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب يومي ٢٦ـ ٢٧ أكتوبر ٢٠١١، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

(4) Meanings of Pragmatism: Accepted to the 2nd International Conference on Action in Language, Organisations and Information Systems (ALOIS-2004), 17-18 March, 2004, Linköping University, Sweden.

(5) Pragmatic presuppositions: paper was read at the University of Taxas conference, March. 1973.(review at: Robert C.Stalnaker: Context and Content, Essays on Intentionality in speech and thoughts, Oxford Cognitive Science series.

---

(١) يمكن القول إن مبتدع التداوليّة هو (تشارلز بيرس Peirce) إلا أن تلميذه (تشارلز موريس) هو الذي وضعها في إطار نظري. راجع د. نعمان بوقرة: المدارس اللسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٦٦.

(٢) شاهر الحسن: علم الدلالة السمانتيكيّة والبراغماتيّة في اللغة العربيّة، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص١٥٧.

(٣) كثرت الترجمات المُقابلة لكلمة Pragmatics؛ فقد تُرجت بـ: التداوليّة، والمقاماتيّة، والمقاميّة، وعلم المقاصد، والبراجماتيّة، والبراغماتيّة ... إلخ؛ لكن المصطلح الأشهر في الاستعمال هو (التداوليّة). راجع د. علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص٢.

(٤) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص٧.

(٥) د. هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، الملتقي الوطني في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب يومي ٢٦ـ ٢٧ أكتوبر ٢٠١١، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص٨٣، ٨٤. وراجع أيضًا:
Accepted to the 2nd International Conference on Action in Meanings of Pragmatism: Language, Organisations and Information Systems (ALOIS-2004), 17-18 March, 2004, Linköping University, Sweden, pp.1-2.

(١) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص١٨، وانظر أيضًا: الطاهر لوصيف: التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، العدد ١٧، ٢٠٠٥، ص٨.

(٢) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص١٤.

(٣) نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٦-٣٠

(١) د. حافظ إسماعيل علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص٤٢.

(٢) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٢.

(٣) نصيرة غماري: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد ١٧، ٢٠٠٦، ص٨٠-٨١.

(٤) طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصريين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص٧.
(٥) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٧.
(١) محمد العبد: النصّ والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٢٨٦.
(٢) فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠، ص٢٢٨.
(٣) د. محمّد العبد: النصّ والخطاب والاتصال، ص٢٨٩.
(٤) السابق، ص٢٩٠-٢٩١.
(١) عبد الهادي الشهري: استرتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٦.
(٢) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٣.
(3) Bach, Kent: Meaning, speech acts, and communication. In Robert Harnish, ed. Basic Topics in the Philosophy of Language, 3–20. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1994, P.14. and review Gazdar, Gerald: Pragmatics: Implicature, Presupposition and Logical Form. New York: Academic Press, 1979, p.79.
(٤) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٢.
(١) عُرضت هذه الدّراما على التليفزيون السّوري، وهو من تأليف وليد سيف، وإخراج حاتم علي.
(٢) جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص١٠١، ١٠٢.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٢) المُسوِّدة: هم جُنود بني العبّاس. وقد سُمُّوا بذلك؛ لأن الدولة العبّاسية قد اتخذت اللون الأسود شعارًا لها.
(٣) مسلسل صقر قريش الحلقة الثانية عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(١) د. محمّد العبد: النصّ والخطاب والاتصال، ص٣١٣.
(٢) مسلسل صقر قريش: الحلقة الثانية عشرة.
(٣) د. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص٣١٣.
(٤) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الرابعة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٣) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(١) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٣، ٣٤.
(2) Pragmatic presuppositions: paper was read at the University of Taxas conference, March. 1973.(review at: Robert C.Stalnaker: Context and Content, Essays on Intentionality in speech and thoughts, Oxford Cognitive Science series, p.47.
ويسمّي د. طه عبد الرّحمن "الافتراض المُسبق" الإضمار التداولي. انظر: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨، ص١١٣.
(٣) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الرّابعة عشرة.
(٣) السابق.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الرابعة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.

(٣) السابق.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٢) السابق.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٢) السابق.
(٣) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٤) السابق.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٢) السابق.
(٣) السابق.
(٤) مسلسل صقر قريش، الحلقة الرابعة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة السادسة عشرة.
(٢) السابق.
(٣) د. محمد العبد: النصّ والخطاب والاتصال، ص٣٢٠.
(٤) السابق، ص٣٢١.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة السادسة عشرة.
(٣) د. محمّد العبد: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، بحث في النظرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص١٥٠.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثانية عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الخامسة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٣) السابق.
(١) مسلسل صقر قريش، الحلقة الخامسة عشرة.
(٢) مسلسل صقر قريش، الحلقة الثالثة عشرة.
(٣) السابق.